

بحار الأنوار

[282] ووجود الواجب سبحانه أمر ثابت لا يتصور فيه شائبة تدريج وانقسام، فأى مناسبة بينه وبين ما ينتزع منه ؟ فجوابه أن ما ادعيت من لزوم تحقق المناسبة بين كل انتزاعي ومنشأ انتزاعه حكم غير بين ولا مبين، ولئن سلمنا لزومه فهو لا ينحصر فيما نفهمه من الزمان من معنى التجدد والاتصال، ولعله تتحقق مناسبة ما بينهما من جهة أخرى خفية عن إدراكنا، وعدم الوجدان لا يعطي العدم، ألا ترى أن أكثر الانتزاعات كالزوجية والفردية والفوقية والتحتية وغيرها ينتزع من محالها ولا يحكم وجداننا بتحقق مناسبات تفصيلية كل منتزع وما ينتزع منه، وذلك إما لعدم لزوم تحققها في الواقع، أو لعدم اطلاعنا على تفاصيلها، وأيام ما كان فليكن الأمر فيما نحن بصدده كذلك، على أنه يرد مثل ذلك على الفلاسفة أيضاً، إذ الزمان والحركة بمعنى القطع منتزعان عندهم من الآن السيل والحركة التوسطية مع مباينتهما فيما ذكره المورد من الاوصاف (1).

(1) لا ريب في عدم ثبوت واسطة بين الوجود والعدم ولا احتمله أحد من الخاصة، وهذا لعمرى من الواضحات بل البديهيات، وإن تفوه بعض متكلمي العامة بثبوت الواسطة وقال بالاحوال والثابتات ! وكيف كان فلا يطن بالمؤلف رحمه الله مخالفته لجميع الأصحاب، وموافقته للمعتزلة في هذا الباب، فمعنى ما ذكره من كون الأمور الانتزاعية غير موجودة في الخارج ولا معدومة صرفة أنها عناوين ذهنية يتوسل بها إلى درك الحقائق الخارجية، فهي موجودة في الذهن معدومة في الخارج ولا تتعدى حد الذهن أبداً وليست كالماهيات الحقيقية التي تتحد في الخارج مع الوجود الخارجي وفي الذهن مع الوجود الذهني لكن لها مناشئ انتزاع حقيقة خارجية متناسبة معها، ولا يمكن انتزاع عنوان من شئ إلا لاجل تلك المناسبة وإلا لا يمكن انتزاع كل شئ من كل شئ، وكذا لا يمكن للعقل انتزاع عنوان من شئ لا يدرك مناسبته لذلك العنوان لأن الانتزاع فعل العقل والعقل إنما يفعل ما يدرك، فلا يكفي فرض مناسبة خفية عن إدراكه وهو بمكان من الوضوح، وعلى هذا فلو فرض كون الزمان أمراً انتزاعياً فلا محيص عن الالتزام بإدراك العقل مناسبته مع منشأ انتزاعه، والمعنى الذي يحكى عنه لفظة (الزمان) هو أمر تدريجي لا يكاد يوجد جزءان منه معاً، فهل له مناسبة إلا مع الحركة التي هي أيضاً كذلك ؟ وهل له مناسبة مع ذات البارئ سبحانه التي لا يتطرق إليها تغير وتدرج، ونقص وقصور، وزوال ودثور ؟ سبحان الله عما يصفون. وسيأتى من المؤلف ره الاستظهار من روايات كثيرة جداً أن الله تعالى غير مقارن للزمان أصلاً، وإن الزمان من المقادير، وإن حدوث العالم ليس بمعنى سبق زمان عليه (*).

